قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

(تتمة)

ثم إن الرجل الغريب دلف إلى الحديقة بعد أن طرق الباب بيد مرتعشة طرقاً مضطرباً ، ولم يتمهل حتى يؤذن له ، وأسرع إلى حيث الشيخ يتوضأ لصلاة المغرب — وقد ارتسمت على صفحة وجهه دلائل الخوف وعلامات الفزع — فركع بين يديه ، وظل الكلام يتعثر في حلقه لحظة ، ثم استطاع أخيراً أن يتمتم بهذه الكلمات المتقطعة المضطربة :

— أيها الشيخ الرحيم ... إني غ ... غريب عن هذه الأوطان ... وأنا الآن ... بعيد عن أهلي وعشيرتي ... و.. و... فقال له الشيخ :

— اعتدل في جلستك يابني اوتريث قليلا حتى تهدأ أعصابك ويعود إليك اطمئنانك ، فأنت الآن في بيتي ، وسنحول بينك وبين كل مكروه ، فلا تخف ، وقل ما تريد ...

— ارحمني بربك ! اسبل عليّ ستراً من حمايتك بمكانة محمد عندك ، إني بريء فقد يدك لمعونتي ... لجأت إليك ، فكن بي رحيما ...

هزت كلمات الرجل أوتار قلب الشيخ إدريس ، وتأثر بالغ الأثر لهذا الغريب الذي يذوب قلبه فرقاً وقال له :

— إنك آمن الآن يا بني ! فاطمئن ولا تخف ، فإن المسلم

وهو أوضح وأفصح فقد جاء مفسراً لبيت قبله هو :

فإن عدت يوماً عاد للحرب والندى ... وبذل الحلى والمجد أكرم عائد

ثم عطف فقال :

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وقلدت أهلي غر هذي القلائد

٢ — روى قوله :

(ومنها) نرى أن المتارك محسن ... وأن خليلا لا يضر خليل

وصحة هذا البيت هكذا :

(وصرنا) نرى أن المتارك محسن ... وأن خليلا لا يضر (وَصول)

يقول : أصبحنا في زمن نرى فيه أن الصديق الذي لا يضر ويؤذي محسن وفيّ وصول للعهد أمين في الصداقة .. ومما يؤيد هذه الرواية أن الشاعر قال بعد ذلك :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن ... إلى غير شاك في الزمان وصول

فجاء بالجناس بين القافيتين (وَصول ووُصول) وأبو فراس كثير التجنيس في شعره كقول قوله :

ولا برقت لي في اللقاء قواطع ... ولا لمعت لي في الحراب حراب

٣ — روى قوله :

وإذا وجدت مع الصديق شكوته ... سراً إليه وفي المحافل أشكر

وصحة هذا البيت :

وإذا وجدت على الصديق شكوته ... سراً وأكن في المحافل أشكر

٤ — روى :

أشد عدويك الذي لا تحارب ... وخير خليلك الذي لا تناسب

وصحة الشطر الثاني : وخير خليليك بالتثنية . ٥ - روى قوله :

تردى رداء (الظل) لما لقيته ... كما يتردى بالغبار المناكب

والصحيح كلمة (الذل) مكان الظل ، وهو أوضح وأبلغ وأنفذ للمعنى . يقول : إن حاسده اللئيم الجبان يوغل في شتمه وانتقاصه ويغرق في ذمه واغتيابه ، حتى إذا لاح له انخلع قلبه وامتقع لونه واعتقل لسانه فتردى رداء الذل ، ولبس ثوب التملق ، فتوسل وتمدح . فلا وجه لكلمة (الظل) إلا إذا أراد الكاتب الفاضل أن يتمحل أوجه البلاغة ويتعسف طرائق البيان . فالمعنى الواضح البين خير وأبلغ من المعنى الغامض المبهم ٦ — وقد افتتح الكاتب الفاضل مقاله ببيت رواه لأبي فراس جاء على هذه الصورة :

تركت أبي طفلا وكان أبي ... من الرجال كريم الود فاخره

وقد نبهت « الرسالة » أن الشطر الأول غير مستقيم لا معنى ولا وزناً ، ولم أعثر على صحته ، ولكن لعل الشطر الأول أن يكون هكذا (وقد فقدت أبي طفلا وكان أبي) ، فيصح النظم ويتسق المعنى

(طرابلس الشام) محمد علي مطاوي

لا يغلق بابه فى وجه من به استجار ، وهذا ملجأ حصين ، ستقر به عينك ، وسيهدأ فيه بالك ، ولكن هل لديك ما يمنع أن تطلعنى على ما حدث لك ، ولم ينتظر إجابته بل التفت إلى خادمه الذى لم يزل واقفاً وبيده إبريق الماء وقال له :

— هات له شراباً وطيباً ، فهو فى حاجة إلى ما يهدىء أعصابه ، فذهب الخادم ، وعاد وناول الغريب الشراب فروى ظمأه واستطاع بعدئذ أن يهمس هذه الكلمات :

— أعرنى سمعك أيها الشيخ الكريم ... وارحم غربتى وضعفى ، فليس لى فى هذا البلد مساعد ولا معين ... فكن مساعدى ومعينى ... منذ قليل كنت فى طريق المدينة فقابلنى جماعة من شباب المسلمين ، وكنت وحيداً ، فأخذوا يسخرون منى ويستهزئون بى ، فلما لم أرد عليهم قذفونى بسيل من الشتائم مقذع ، فقطع الشيخ حديثه بقوله :

— ترى من كان هؤلاء الأشقياء ؟ فإن الإسلام يعلمنا كيف نحافظ على شعور الناس ، ويحثنا أن نعاملهم بالحسنى ، ولا نعرض لهم بأذى . فقال الرجل :

— هذا ما حدث يا سيدى ، ولا أدرى له تعليلا ... فلما استنكرت فعلهم ، ورجوتهم أن يكفوا عن هذا السباب استشاطوا غضباً ، وازدادوا فى إيلامى ، وبلغ ببعضهم أنه أخرج مدية وهم أن يطعننى بها ، فدفعنى حب البقاء أن أدفع الأذى عن نفسى ، فقذفت بسهمى فى ثورة غضبى وشدة هياجى فطاش وأصاب من أحدهم مقتلا ، وها أنتذا قد علمت أننى لم أبيت لأحد منهم سوءاً ، ولم أقصد أحداً بضرر ، ولم يكن فى حسابى أن السهم سيصيب منهم مقتلا ... وقد لذت بالفرار لأنجو بنفسى ، ولأنقذ حياتى من خطأ لم أتعمده ، فرمت بى المقادير إليك ، ولعل من سعد طالعى أنى وفقت لمن ينصر المظلوم ويأخذ بيد الضعيف

ظن الشيخ أن الذى سمعه من الرجل هو الواقع ، فتحركت فى نفسه عوامل الشفقة ، وثارت فى قلبه نوازع الرحمة ، ولم يخطر له ببال أن الدم الذى سفكه ذلك الخائن إنما هو دم ابنه البرىء ، فأخذ يلاطف الرجل ويتبسط معه فى الحديث ، ليذهب ما ألم بقلبه من فزع ورهب ، وما تملكه من اضطراب وخوف ، وكان مما قاله له :

— إنك وإن لم تكن مسلماً ؛ فقد أوصانا نبينا بأن نعامل مخالفينا فى الدين بالحسنى ، وأن نرعى الأخوة فى الإنسانية حق رعايتها ، فكن على يقين أنك بلغت مأمناً ، وأنه بعون الله لا تستطيع يد أن تمتد إليك بسوء واعلم أنك الآن فى حماية قوية ، فقد عاهدتك عهداً غير منكوث ، أنى لن أسلمك أبداً ولو حملت فى سبيل ذلك السلاح ... ولكنه رأى فى وجه الرجل أمارات الشك ، وأن به ميلا إلى عدم التصديق فقال له فى رنة التأكيد :

— كن واثقاً بى فالمسلم إذا عاهد وفّى ، وإذا أؤتمن أدى ، وإذا قال صدق ، فانحنى الغريب حتى بلغ رِجْلَ الشيخ فقبل أطراف أصابعها ، فجذبها الشيخ بقوة وقال له :

— إننى يا بنى لم أفعل شيئاً أستحق عليه هذا منك ، ولم أزد على أنى أجرت من استجار بى ، وأى مسلم يقعد عن ذلك ؟ ثم التفت إلى خادمه وقال له :

— اصحبه إلى حجرة النوم التى أعدت للاضياف ، ووفر له وسائل الراحة ، فإنه شديد الحاجة إليها ، ثم ابتسم للرجل وقال له :

— فى رعاية الله وحفظه ، رافقتك السلامة ، وصحبك الهدوء والاطمئنان .

أخذ المدعوون يفدون إلى بيت إدريس زرافات ووحدانا ، تعلو وجوههم نضرة السرور ، وترتسم على شفاههم بسمة الفرح ، وكانت الأنوار تتلألأ ساطعة فى أبهاء البيت وطرقات الحديقة وامتلأ البيت ، واكتظت الحديقة بالحاضرين ، وجلسوا جماعات جماعات ، يتناول حديثهم شتى الأمور فى الأدب والتطورات السياسية ، والمعارك التى تخوض جيش المسلمين غمارها لإخضاع الثائرين المتمردين ، واللمح المضحكة ، والطرف المستملحة ، والكل ينتظر عودة إسحاق بفارغ الصبر . وكان الشيخ إدريس أشد الحاضرين قلقاً ، وأكثرهم لهفة ؛ فقد بدأ يتوجس خيفة من تأخر ابنه الذى لم يسبق له مثيل ؛ فإنه لم يتأخر فى المدينة إلى مثل هذا الوقت من الليل ، وخشى أن يكون قد أصابه مكروه فإنه يعلم أن عليه فى هذه الليلة أن يستقبل المدعوين فى منزله من علية الناس وأشرافهم . فلم يستطع الرجل الثبات فى مجلسه ، فكان يكثر من الخروج والقيام والقعود ، والذهاب إلى الباب والعودة منه ينتظر عودة وحيده .

وحانت صلاة العشاء ، فقام أحد المدعوين وأذن لها ، وبعد أن فرغوا من صلاتها عادوا إلى أماكنهم ، وقبل أن يتشعب بهم الحديث فاجأهم صراخ وصياح خارج المنزل لم يلبث أن صار بينهم مصدره ، وكان خادم إسحاق الذى رافقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم هو مبعث البكاء والصياح فدخل عليهم وقال لسيده إدريس فى تأثر بالغ وهو يبكى ، ولا يكاد يتبين السامع شيئاً من كلامه لاختناق صوته ، وإلحافه فى البكاء والنشيج :

— ألهمك الله الصبر يا سيدى ... ؛ فقد مات وحيدك ... وسندك إسحاق ...

لم يكد الخادم يتم عبـــارته حتى ارتسم الهلع على وجوه الحاضرين ، واستبد بهم الحزن ، وفارقهم الوقار ، وتخلت عنهم الشجاعة ، فعلا نشيجهم وتصعدت زفراتهم واستسلموا الحزن عميق

أما الشيخ إدريس فقد كاد يصعق فى مكانه ؛ لأن الخبر قد نال منه أشد منال ، ووقع على قلبه وقوع الصاعقة ، وأخيراً بعد جهد جهيد استطاع أن يستند على خادمين وخرج إلى الحديقة ، يتبعه الأضياف ليروا جثة إسحاق التى وصلت منذ لحظات .

تقدم إدريس إلى ابنه المسجى ، وبيد مرتعشة رفع الغطاء الأبيض ، فرأى وجه ابنه ، ذلك الوجه الذى كان منذ قليل يزخر بماء الشباب ، رآه أصفر شاحباً ، قد ذوى جماله ، وغاضت ملاحته وغارت عيناه . وقد كانتا تشعان بالفرح والتحفز والسرور ، فانطفأ بريقهما ، وخبا ضياؤهما ، وانطبقت جفونهما .

رد الوالد الغطاء على وجه ابنه ، والحزن يفتت كبده ، ويذيب فؤاده ، ولكنه تحامل على نفسه وتمالك أعصابه وردد فى ثقة واطمئنان قول الله عز وجل « إن لله وإنا إليه راجعون » . « كل نفس ذائقة الموت » . « فصبر جميل والله المستعان » . ثم التفت إلى القوم الذين جعلوا يتقدمون لتعزيته وقال لهم : ماذا عملك الإنسان غير أن يستسلم للقدر المحتوم ، والقضاء النافذ . إن قلبى يعتاج بالأسى والحزن لفراق ولدى الوحيد ، ولكنها إرادة الله ، الذى لا راد لما قضاه .

تراءى العالم للشيخ إدريس شديد الظلام ، وأخذ الألم يحز فى نفسه ، ولكنه صبر للبلاء ، وصمد للقضاء . وانفرد بالخادم الذى كان يرافق إسحاق وقال له :

— قص علىّ يا بنى ماجرى لسكاكما وقع ، ولا تستر عنى شيئاً من الحقيقة ، وقل من ذا الذى فعل هذا بسيدك إسحاق؟ فقال الخادم:

— أننى قد تأخرت عن سيدى إسحاق قليلا ، لأنه أسرع بجواده ، ورأيته من بعيد يتحدث إلى رجل غريب ، لكنى لم أسمع ما دار بينهما ، إلا أننى رأيت سيدى بعد قليل يحاول النزول عن جواده ، وقبل أن يتمكن من ذلك ، قذفه الغريب بسهم قاتل ، فسقط على الأرض مضرجاً بدمائه ، واختفى القاتل بعد أن أدركه ، فانتفض الشيخ انتفاضة شديدة كأنما لدغه عقرب ، وقال والدمع يهمر من عينيه : هذا ابتلاء من الله وعلينا أن لا نسخط على قضاء قضاه .

وأخذ الحاضرون يعزون الشيخ إدريس ، ويسألون له الصبر ثم ينصرفون إلى بيوتهم والهم يعتلج فى قلوبهم والأسى يحز فى نفوسهم . ثم اجتمع الأقارب والأصدقاء من الرجال والنساء حول القتيل يبكون شبابه الغض ، وفتوته الناضجة ، وخرج كثير من أصدقائه يفتشون فى طرقات المدينة وأحراشها عن القاتل الأثيم !

فى الحجرة الأولى عن يمين الداخل إلى المنزل كان اللاجىء المسيحى يرتجف خوفاً وهلعاً ، كلما تعالت أصوات البكاء والعويل ، وتنثال عليه الأفكار السوداء والخواطر الثيرة ، ويقول فى نفسه : ماذا أعمل إذا كانت تلك مناحة القتيل وقد زجت بى المقادير إلى بيته؟ ثم يعاوده شىء من الهدوء ويقول : لو أن الأمر كذلك لدخل علىّ أهله ولمزقونى شر ممزق منذ أن وصل القتيل إلى البيت .

ظلت الأفكار المضطربة تنتاب ذلك اللاجىء شطراً كبيراً من الليل ثم تأكدت مخاوفه وأسرعت خفقات قلبه ، عندما عالج الشيخ باب حجرته ثم فتح مصراعيه ، ودخل عليه وبيده مصباح مضىء . ثم ابتدر الغريب وقال له :

قل لى بربك يا صاح ! أكان الرجل الذى قتلته منفرداً أم كان فى جماعة من أصحابه ؟

— لا لا ! إنه لم يكن وحيداً يا سيدى ، بل كانوا أربعة ، وقد استثارونى فاستعملت السلاح دفاعاً عن نفسى ، ... وإنى أستحلفك بالله أن لا تسلمنى إليهم فإنى برىء ، برىء .

— لا تخش شيئاً فلن أسلمك لأحد ، ولكن هيا اتبعنى قليلا .

قام الرجل متثاقلا . وتبعه متعثراً فى مشيته وكأن رجليه تعجزان عن حمله وكان كلما تقدم وراء الشيخ خطوة ، اعتقد أنه يقترب من الموت خطوات ، وظل كذلك حتى وصل إلى الحجرة التى نقل القتيل إليها ، فدخلها وراء الشيخ فوجد بجانبه أربعة يرتلون آى الذكر الحكيم ، فتقدم إليهم الشيخ وفتح لهم باباً داخلياً وطلب إليهم أن يلجوه ، وأن ينتظروا ريثما يسترجعهم ،

ثم طلب إلى الغريب أن يتقدم إلى سرير القتيل ثم رفع الغطاء عن وجهه وقال له :

— هل هذا الرجل هو الذى أصابه سهمك ؟

عرف الرجل فى المسجى على السرير ضحيته ، فاصفر وجهه ، وتصبب عرقه ، وجف ريقه ، وتلاشت الكلمات فى حلقه ، والتاث عليه مسلك القول ، فقال له الشيخ فى هوادة ورفق :

— قل الحقيقة ولا تخف يا بنى . فليس عليك من بأس ،

— فقال الغريب بصوت متقطع كأنه خارج من جوف بئر :

— نـ ... نـ ... نعم هو يا سيدى ، ولكن بحق نبيكم محمد ارحمنى واشفق على ؛ فإنى لم أقتله متعمداً ، أنا برىء ، إن هذا الشاب قد ابتدأنى بالشتائم وقد دافعت عن نفسى ...

— لا بأس . لا بأس فلترجع إلى حجرتك ثانياً ؛ فقد بقى من الليل وقت ليس بالقصير ؛ وأنت فى حاجة إلى قسط من الراحة كبير وفى الصباح الباكر إن شاء الله ندبر وسيلة لإنقاذك .

ثم ودع القاتل عند باب حجرته وتمنى له ليلة هانئة . ثم انثنى إلى حجرة القتيل وجلس إلى جواره مع القراء يسترحمون له

— بتلاوة القرآن . بينما أغلق القاتل عليه بابه واستسلم للتفكير فى مصيره وما سيأتى به الغد من أحداث .

نادى المؤذن لصلاة الفجر ، فقام الشيخ إدريس وجدد وضوءه ، واستقبل القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال :

« اللهم لا رادّ لقضائك ، ولا سخط على بلائك ، ابتليت فرضينا ، وأمرت فأطعنا ، فألهمنا جميل صبرك ، وثبت قلوبنا على طاعتك ، فلا عون إلا بك ، ولا ملجأ إلا إليك ، إنك أرحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين » . ثم صلى لربه فى خشوع واستسلام ولما انتهت صلاته ، أمر أحد رجاله أن يعد أسرع جياده ، وينتظر

— به على باب الحديقة ؛ ومعه إبريق ملىء بالماء . ثم أخذ كيساً ووضع به مبلغاً من المال ، وأحضر سلة وشيئاً من طعام وفاكهة ووضعهما فى السلة ، وذهب إلى حيث الخادم ينتظر بالجواد ؛ وأمره أن تأتيه بالضيف من حجرته .

قضى القاتل ليلة ليلاء لم يغمض له جفن ، ولم يهدأ له بال ، ولم يسكن له خاطر ، فما أن طرق الخادم بابه حتى أيقن أن ساعته قد دنت ، وأن حَتْفه قد حان ، وتلك آخر لحظاته ، فجثا على ركبتيه ، وصلى على طريقته المسيحية صلاة الوداع لحياته ؛ ثم قام وتابع الخادم وهو يترنح كالسكران من هول مايلاقيه . فلما وصل وجد مضيفه وحاميه ممسكا بعنان الفرس ، متكئاً على جدار الحديقة فما أن أبصرهما حتى صرف الخادم ثم وجه الكلام إلى القاتل فقال:

— أيها الشقى التعس ! ألا فاعلم أن الذى استقر سهمك فى صدره هو ابنى ووحيدى وأنه لم يكن متجنياً عليك ، ولم يبتدرك بإساءة ! ! إنك لا تستطيع أن تتخيل أى دور لعبت فى تدميرى ، وتحطيم قلبى أنا ذلك الشيخ الفانى ، لقد هدمت بنيانى ، وقوضت أركانى ، وفتت كبدى . إن الصراع الناشب فى نفسى ، لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه ... هذا وحيدى وسندى فى الحياة جثة هامدة بين عينىّ ، تناديني روحه من عليائها أن أنتقم له ، وهذا قاتله بين يدى ، وفى حوزتى ، ولكن يمنعنى من الثأر منه ذلك العهد الذى قطعته على نفسى أن أحميه ... كان إسحاق رطيب الغصن ، ناضج الشباب وكنا نبنى عليه صروح الآمال ونعلق عليه كل رجاء لنا فى الحياة ، ولكنك هدمت صروحنا وقطعت رجاءنا ... إن الدم يغلى فى عروقى غضباً عليك ، وإن نوازع الشر تصرخ بى أن أثأر منك ، لكن صوت الضمير يملأ نفسى ، ويغمر قلبى ، إنى عاهدتك باسم الله وبمكانة محمد نبيه ، أن أحميك من كل شر ، وأن أدفع عنك كل سوء ، وقد استجبت أخيراً لنداء ضميرى ، فإنى لا أحب أن يقال : إن مسلماً استهان باسم الله وبكرامة محمد نبيه ، فأخلف وعده ، وغدر فى عهده ولوث سمعة المسلمين .. هاك خير جهادى ، وهذه سلة فيها طعام وفاكهة ، وذى نقود قد تحتاجها فى سفرك . وإن إسحاق كان أحب إلىّ من حياتى ، ولكنى عفوت عنك « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وتعاليم الإسلام أحب إلى قلبى ، حتى من نفسى ...

وهبى اسماعيل مفتى

إعلان

وزارة الزراعة تشهر للبيع بالمزاد العلنى ثمار موالح حديقة تفتيش سخا (غربية) بالجلسة التى ستعقد بديوان التفتيش المذكور يوم ١٥ سبتمبر القادم — فعلى راغبى الشراء معاينة الثمار بمحل وجوده قبل الجلسة — وتطلب الاستعلامات والشروط من التفتيش أو من الوزارة (قسم الزراع) .

٧٨٣٦

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

ان الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق وقد هيأتها المصلحة للعملن الذى يرى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة